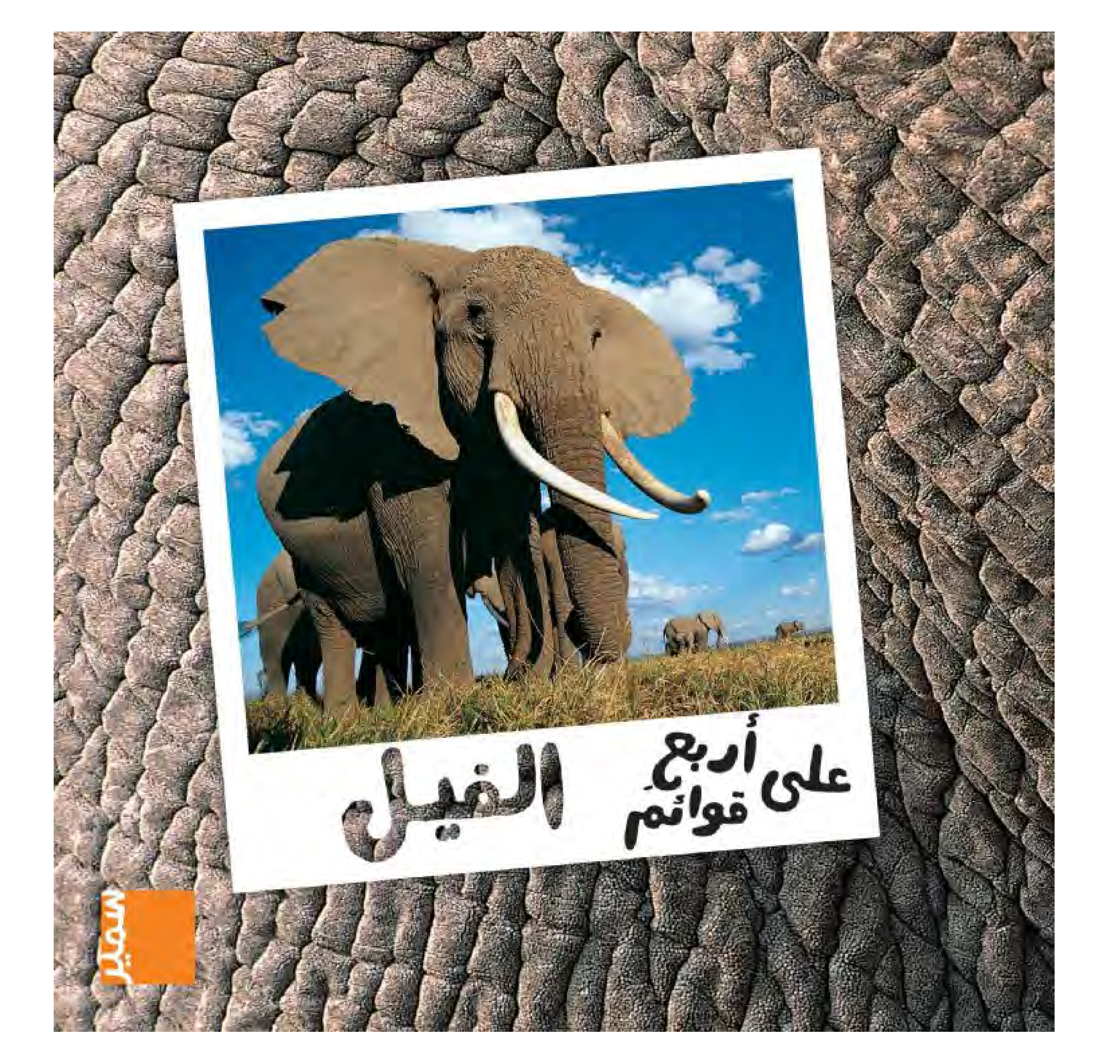
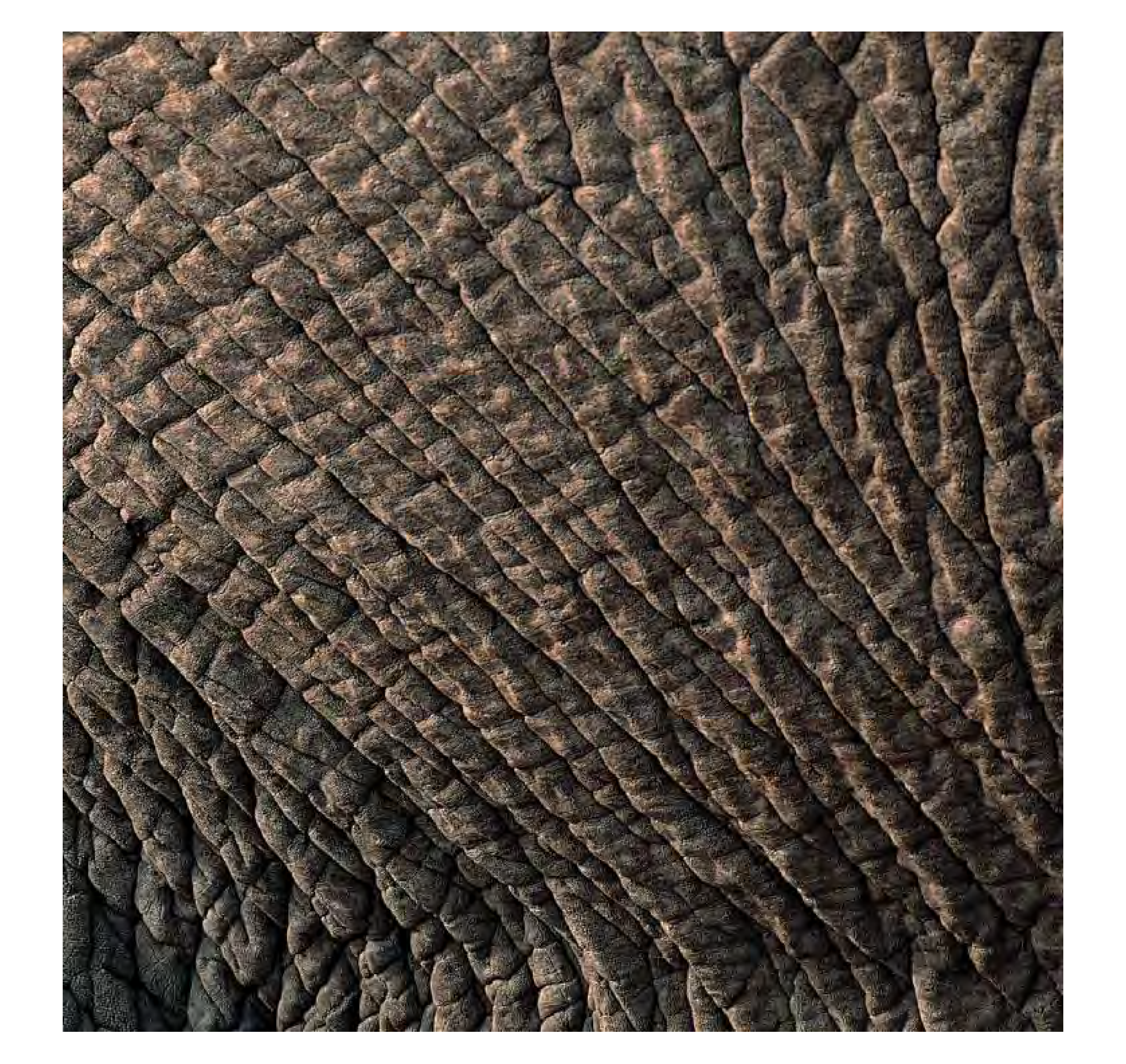

على أربع قوائم
الفيل
سفير



الفيل على أربع قوائم



على أربع قوائم

الفيل

النصّ الفرنسيّ: مايا حكيم عبده حنّا
تعريب: د. يوسف أبو نجم
التصميم الفنّيّ: تانيا الخوري
تنسيق النصّ العربيّ: جوزف أنطونيوس





الجَدَّةُ تَقودُ العائِلَةَ كُلَّها!

ها هُوَ قَطيعٌ مِنَ الفِيَلَةِ، يَسيرُ أَفْرادُهُ بِالتَّتابُعِ في إحْدى السَّباسِبِ الإفْريقِيَّةِ. وَلِلْحالِ، تَبْتَعِدُ سائِرُ الحَيَواناتِ عَنْ طَريقِها.

وَالقَطيعُ، عادَةً، عائِلَةٌ كَبيرَةٌ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ حَوالى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فيلَةً بالِغَةً وَبَعْضِ الدَّغافِلِ (صِغارِ الفِيَلَةِ). أَمّا الرَّئيسُ، فَهْوَ الجَدَّةُ. إنَّها هِيَ الَّتي تَقودُ القَطيعَ، وَعَلى الجَميعِ إطاعَتُها لِأَنَّها الأَكْبَرُ سِنًّا وَالأَكْثَرُ خِبْرَةً؛ فَقَدْ واجَهَتْ في حَياتِها كُلَّ أَنْواعِ المَخاطِرِ، وَتَعْرِفُ كُلَّ اليَنابيعِ، مَهْما كانَتْ بَعيدَةً، كَما تَعْرِفُ أَفْضَلَ المَراعي وَأَخْصَبَها.



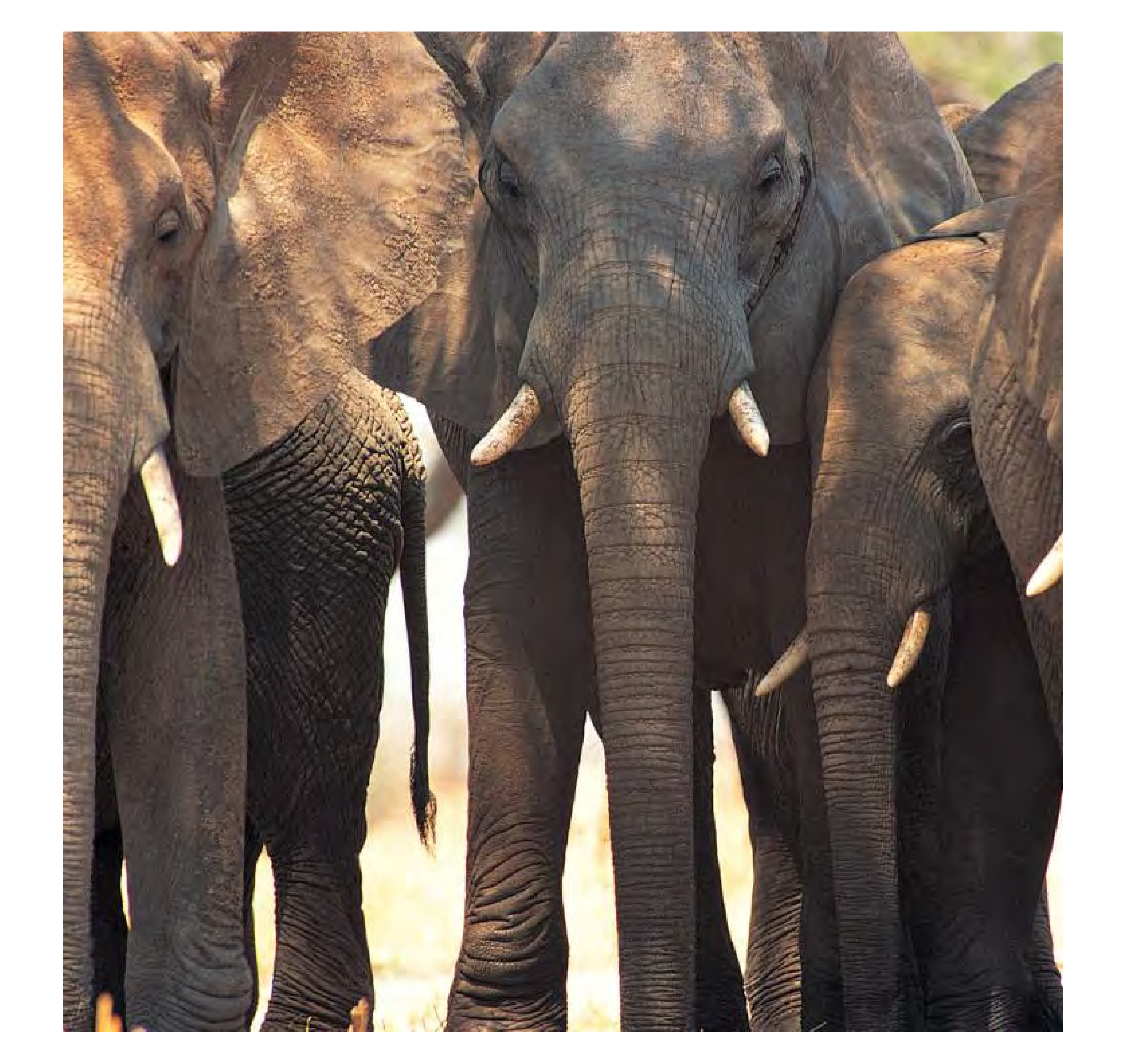
يَتَنَقَّلُ القَطيعُ بَحْثًا عَنْ مَراعٍ جَديدَةٍ.

وَالطَّريفُ أَنَّ كُلَّ إناثِ القَطيعِ تَجْمَعُها عَلاقَةُ نَسَبٍ بِالجَدَّةِ؛ فَهْيَ إمّا مِنْ أَخَواتِها، أَوْ بَناتِها، أَوْ حَفيداتِها... وَكُلُّها تَعيشُ مَعًا بِاتِّفاقٍ، وَتَتَوَزَّعُ بِسُرورٍ مُخْتَلِفَ الأَعْمالِ اليَوْمِيَّةِ.

بِاخْتِصارٍ، تَعيشُ الفِيَلَةُ مُتَضامِنَةً كُلِّيًّا داخِلَ القَطيعِ. فَإذا جُرِحَ، مَثَلاً، أَحَدُ أَفْرادِ القَطيعِ، تُبْطِئُ الجَماعَةُ سَيْرَها؛ حَتّى إنَّها تُساعِدُهُ عَلى السَّيْرِ، إذْ تَدْفَعُهُ بِخَراطيمِها وَقَوائِمِها.



تُحِبُّ إناثُ الفِيَلَةِ أَنْ يَتَدَلَّلَ بَعْضُها عَلى بَعْضٍ.



فَجْأَةً، تَبْرُزُ لَبُؤَةٌ مُكَشِّرَةً عَنْ أَنْيابِها... يا لَهُ مِنْ خَطَرٍ داهِمٍ!

فَوْرًا، تَتَحَلَّقُ الفِيَلَةُ البالِغَةُ حَوْلَ الصِّغارِ، مُشَكِّلَةً سورًا يَحْميها. وَتَتَوَجَّهُ إِحْدى الفِيَلَةِ الضَّخْمَةِ جِدًّا، بِشَجاعَةٍ نَحْوَ اللَّبُؤَةِ وَتَقْبَعُ (تُصَوِّتُ) بِقُوَّةٍ. عِنْدَئِذٍ، تَخافُ اللَّبُؤَةُ وَتَبْتَعِدُ هارِبَةً.



الفيلُ وَالكَرْكَدَنُّ أَضْخَمُ حَيَوانَيْنِ يَعيشانِ في السَّباسِبِ، وَيَكونُ قِتالُهُما مُؤَثِّرًا جِدًّا وَشَديدَ الخُطورَةِ كَذلِكَ.

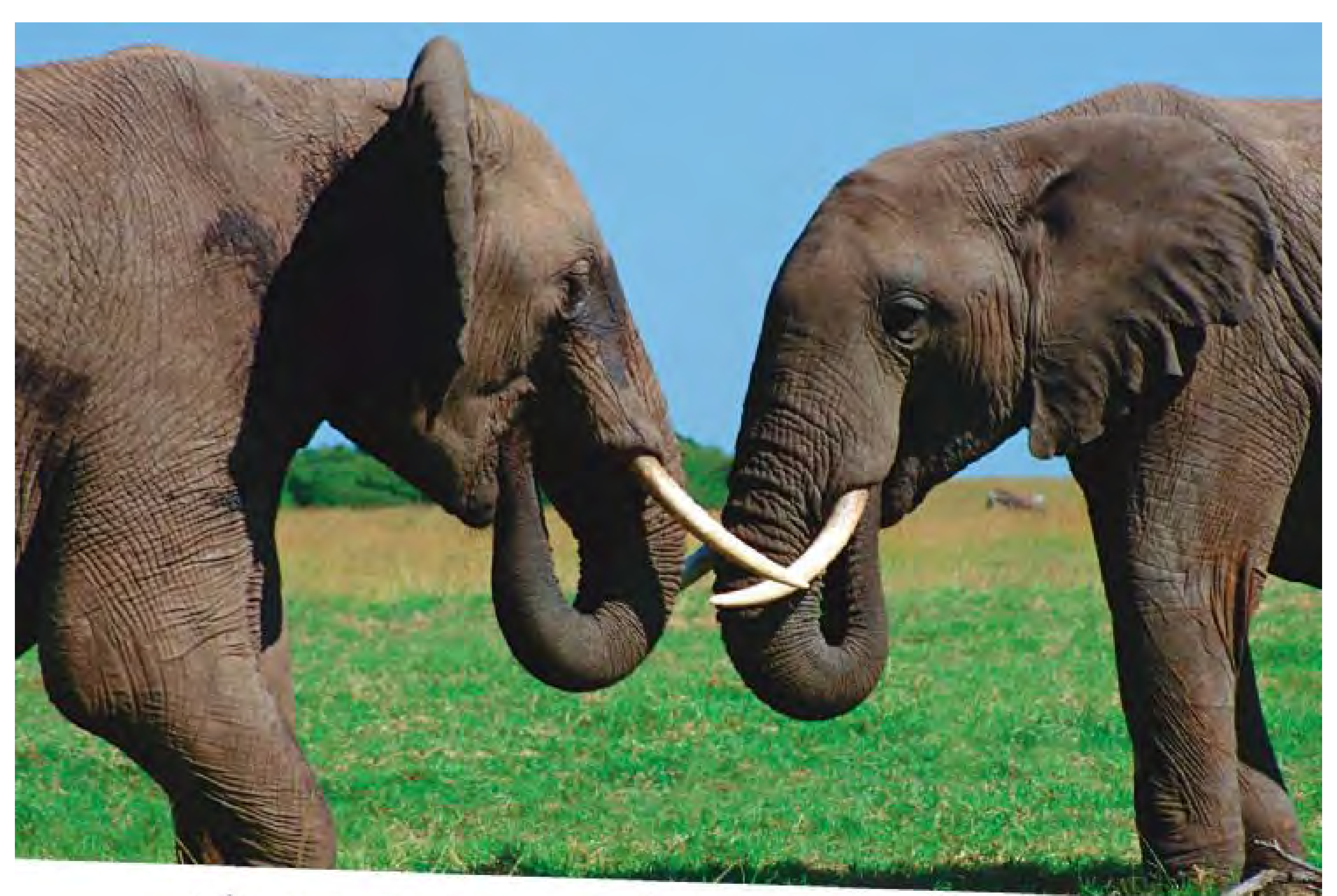




تُهاجِمُ اللَّبُؤاتُ الدَّغافِلَ عِنْدَما تَكونُ بَعيدَةً عَنِ القَطيعِ.

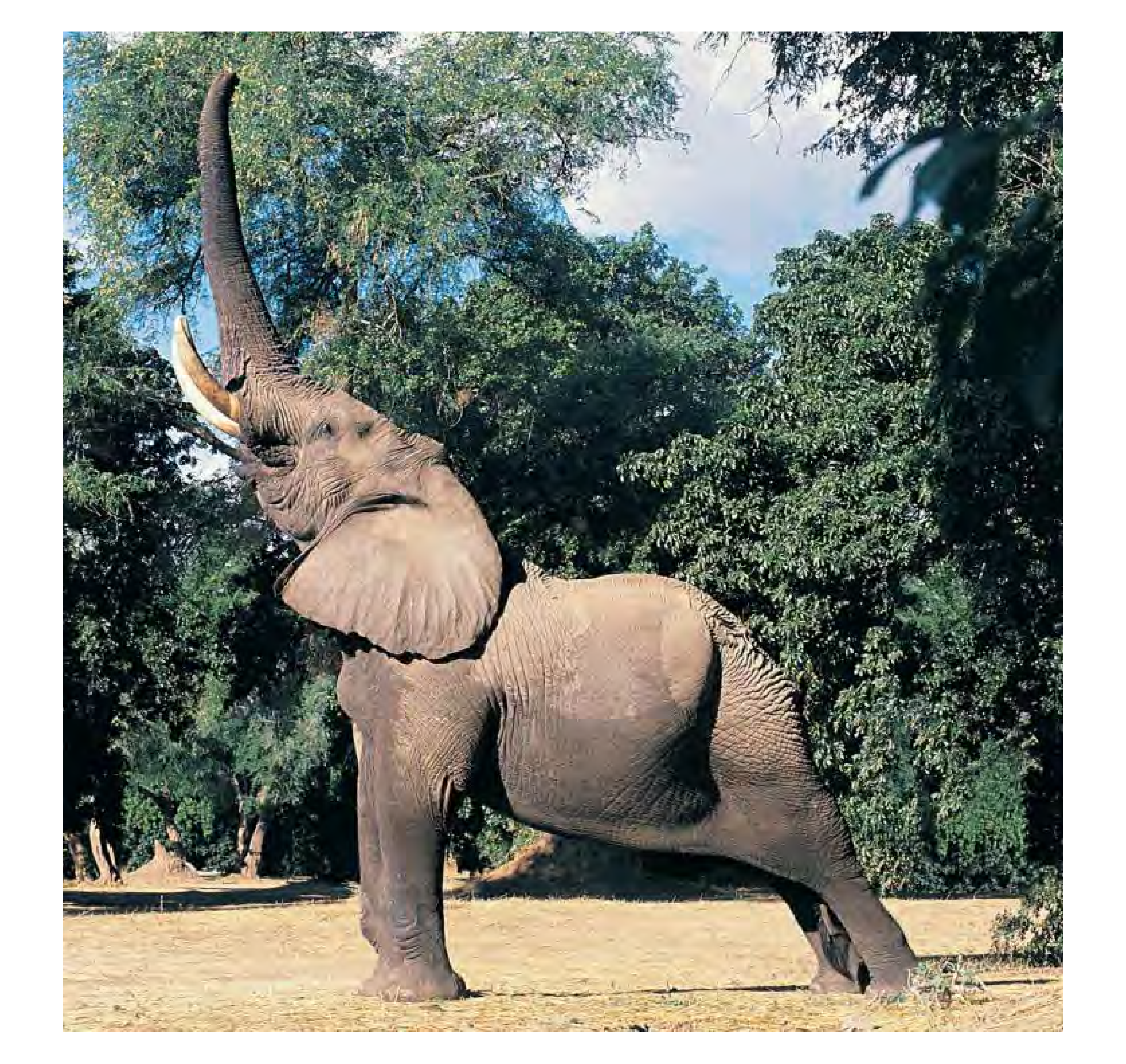
عِنْدَما يَلْتَقي فيلانِ مِنْ قَطيعَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، فَإِنَّهُما قَدْ يَكونانِ في غايَةِ التَّهْذيبِ ؛ يُسَلِّمُ أَحَدُهُما عَلى الآخَرِ بِواسِطَةِ الخُرْطومِ، مُلامَسَةً وَشَمًّا ؛ وَعادَةً، يُسَلِّمُ الأَصْغَرُ سِنًّا عَلى الأَكْبَرِ...





تَتَجابَهُ الذُّكورُ الفَتِيَّةُ مِنْ أَجْلِ الإناثِ، أَوْ لِاكْتِسابِ حَقِّ الِانْضِمامِ إلى القَطيعِ.

تَعيشُ الأُنْثى كُلَّ حَياتِها ضِمْنَ القَطيعِ الَّذي وُلِدَتْ فيهِ. وَيَعيشُ الذَّكَرُ وَحيدًا، أَوْ مَعَ بَعْضِ الذُّكورِ. وَهْوَ لا يَقْتَرِبُ مِنْ قَطيعِ الإِناثِ، إلاَّ لِيَبْحَثَ عَنْ فيلَةٍ تَضَعُ مِنْهُ دَغْفَلاً؛ ثُمَّ يَتْرُكُ القَطيعَ لِيُفْسِحَ في المَجالِ أَمامَ باقي الذُّكورِ.



شَهِيَّةٌ كَبيرَةٌ... كَبيرَةٌ!

الفيلُ حيَوانٌ عاشِبٌ. وَهْوَ يُفَضِّلُ العُشْبَ الطَّرِيَّ وَالوافِرَ الَّذي يَنْبُتُ في مَوْسِمِ الأَمْطارِ. أَمّا في فَتْرَةِ الجَفافِ، فَإِنَّهُ يَكْتَفي بِقُشورِ الأَشْجارِ وَالأَغْصانِ لِأَنَّ الأَعْشابَ تَكونُ نادِرَةً. كَما يَغْتَذي بِأَوْراقِ الأَشْجارِ وَالجُذورِ وَالثِّمارِ.

هذا، وَتُساعِدُ الفيلَ قامَتُهُ الضَّخْمَةُ في بُلوغِ أَوْراقِ الأَشْجارِ الَّتي لا يُمْكِنُ لِلْحَيَواناتِ الأُخْرى الوُصولُ إِلَيْها وَالحُصولُ عَلَيْها. وَهْوَ يَسْتَخْدِمُ خُرْطومَهُ كَما يَسْتَخْدِمُ الإِنْسانُ يَدَهُ، عِنْدَ تَناوُلِ الأَشْياءِ أَوِ الإِمْساكِ بِها.



هَنيئًا!





خُرْطومٌ رَشيقٌ وَمُفيدٌ لِلْغايَةِ .

وَالفيلُ أَضْخَمُ الحَيَواناتِ اللَّبونَةِ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ. قَدْ يَصِلُ وَزْنُهُ إلى سِتَّةِ أَطْنانٍ! إنَّهُ أَكولٌ شَرِهٌ؛ فَهْوَ يُمْضي نَهارَهُ كُلَّهُ يَبْتَلِعُ كَمِّيَاتٍ كَبيرَةً مِنَ الطَّعامِ. وَعِنْدَما لا يَتَبَقّى شَيْءٌ لِلأَكْلِ، فَإِنَّهُ يَنْتَقِلُ إلى مَراعٍ أُخْرى جَديدةٍ.

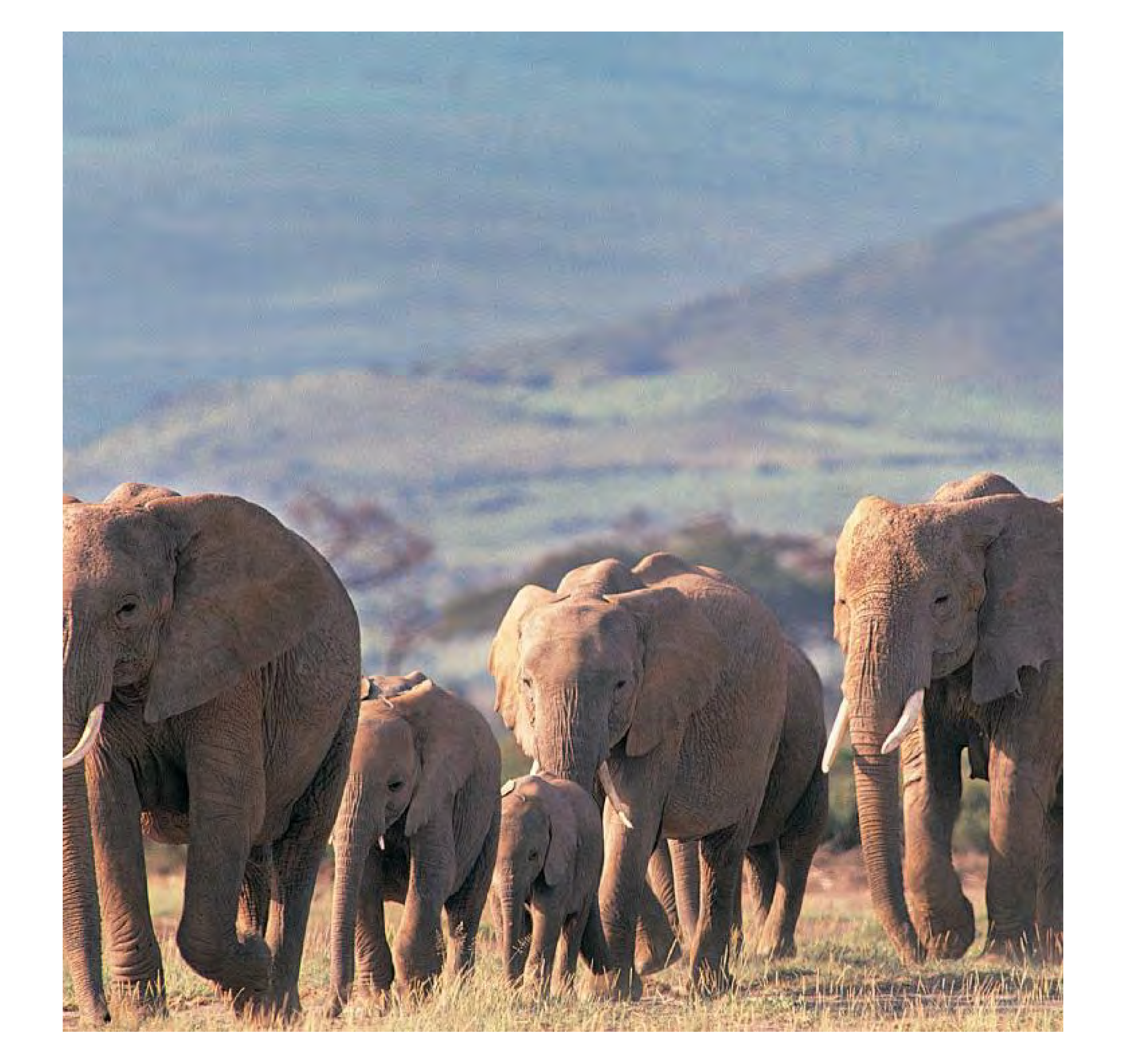




فِي مَوْسِمِ الأَمْطارِ، هُناكَ دائِمًا طَعامٌ وَفيرٌ لِلصِّغارِ وَالكِبارِ.



يَلْتَهِمُ الفيلُ كُلَّ يَومٍ حَوالَى 200 كلغ مِنَ الطَّعامِ.



إلى الماءِ!

يَحْتاجُ الفيلُ إلى الكَثيرِ مِنَ الماءِ لِيَرْوِيَ عَطَشَهُ. وَإذا ما اقْتَرَبَ مِنْ نَهْرٍ أَوْ بُحَيْرَةٍ، أَسْرَعَ يَشْرَبُ: فَيَسْفُطُ كَمِّيَّةً مِنَ الماءِ بِخُرْطومِهِ، وَيُلْقيها داخِلَ الفَمِ. وَهْوَ لا يَشْرَبُ سِوَى مَرَّةٍ كُلَّ يَوْمٍ، فيما يَسْتَطيعُ البَقاءَ عِدَّةَ أَيَّامٍ مِنْ دونِ أَنْ يَشْرَبَ.



يَشْرَبُ الفيلُ أَكْثَرَ مِنْ 80 لِتْرًا مِنَ الماءِ كُلَّ يَوْمٍ.

يَعْشَقُ الفيلُ الاِسْتِحْمامَ بِالماءِ. وَيُساعِدُهُ خُرْطومُهُ في ذلِكَ مُساعَدَةً كَبيرَةً: فَهْوَ يَسْتَخْدِمُهُ كَمِرَشَّةٍ يَغْسِلُ بِواسِطَتِها رَأْسَهُ وَظَهْرَهُ. وَهْوَ يَسْتَمْتِعُ بِذلِكَ كَثيرًا، وَلا سِيَّما في ساعاتِ الحَرِّ الشَّديدِ!





تَسْتَحِمُّ الفيلَةُ مَعَ صَغيرِها لِلتَّمَتُّعِ بِبُرودَةِ المِياهِ.



الخُرْطومُ عُضْوٌ أَساسِيٌّ عِنْدَ الفيلِ.



يَتَرَدَّدُ هذا الدَّغْفَلُ في النُّزولِ أَكْثَرَ إِلى الماءِ.



يَبْتَرِدُ كُلُّ القَطيعِ في هذِهِ البُحَيْرَةِ، ثُمَّ يُكْمِلُ طَريقَهُ.



لا شَيْءَ كَحَمّامِ الوَحَلِ
يُساعِدُ عَلى الاِسْتِرْخاءِ.



يَعْرِفُ الدَّغْفَلُ، مُنْذُ
صِغَرِهِ، مَنافِعَ الوَحَلِ.

يُؤْثِرُ الفيلُ بِشَكْلٍ خاصٍّ حَمّامَ الوَحَلِ. فَالوَحَلُ الَّذي يَجِفُّ في الشَّمْسِ، يُشَكِّلُ دِرْعًا قاسِيَةً تَحْمي جِلْدَ الفيلِ مِنَ الحَشَراتِ المُزْعِجَةِ والمُؤْذِيَةِ. وَقَدْ يَسْتَغْرِقُ الحَمّامُ عِدَّةَ ساعاتٍ، وَهُوَ يُهَدِّئُ أَكْثَرَ الفِيَلَةِ شَراسَةً.



يُحِبُّ الفيلُ أَنْ يُثيرَ غُبارًا لِيُغَطِّيَهُ. وَيَحْصُلُ لَهُ كَذلِكَ أَنْ يَبْتَلِعَ تُرابًا، يَكونُ غَنِيًّا بِالأَمْلاحِ المَعْدِنِيَّةِ، وَيُشَكِّلُ مُكَمِّلاً لِغِذائِهِ.

مَوْلودٌ جَديدٌ!

تَحْمِلُ الفيلَةُ صَغيرَها في بَطْنِها حوالى السَّنَتَيْنِ. وَعِنْدَما تَضَعُ، يَتَحَلَّقُ كُلُّ القَطيعِ حَوْلَها لِيَحْميَها. فَإِذا اقْتَرَبَ حَيَوانٌ ما، تَضِجُّ كُلُّ الفِيلَةِ، فَيَخافُ الحَيَوانُ وَيَهْرُبُ.

أَخيرًا، وُلِدَ الدَّغْفَلُ الصَّغيرُ! أَمّا طولُهُ فَمِتْرٌ واحِدٌ وَوَزْنُهُ مِئَةُ كيلوغْرامٍ. يُرَحِّبُ بِهِ كُلُّ أَفْرادِ القَطيعِ، وَيَبْدَأُ مُغامَرَةً جَديدَةً قَدْ تَسْتَمِرُّ سَبْعينَ عامًا!

لا مَجالَ لِإِضاعَةِ الوَقْتِ؛ فَعَلى الدَّغْفَلِ أَنْ يَتَعَلَّمَ سَريعًا كَيْفَ يَمْشي. وَفي غُضونِ يَوْمَيْنِ، يُصْبِحُ قادِرًا عَلى التَّنَزُّهِ بِصُحْبَةِ أُمِّهِ.



الدَّغْفَلُ شُجاعٌ، فَهْوَ يَلْحَقُ بِكِبارِ القَطيعِ! إِنَّهُ يَسيرُ دائِمًا بِالقُرْبِ مِنْ رَأْسِ أُمِّهِ، حَتّى تَتَمَكَّنَ مِنْ مُراقَبَتِهِ. وَعِنْدَما يَتْعَبُ، فَإِنَّهُ يُمْسِكُ ذَنَبَ أُمِّهِ بِخُرْطومِهِ، كَيْ تُساعِدَهُ في التَّقَدُّمِ.





يَبْقى الدَّغْفَلُ قَريبًا مِنْ أُمِّـهِ، وَيُحِبُّ أَنْ يَخْتَبِئَ بَيْنَ قَوائِمِها الضَّخْمَةِ. عِنْدَما يَشْعُرُ بِالخَوْفِ، تُلامِسُهُ أُمُّهُ بِلَطافَةٍ بِواسِطَةِ خُرْطومِها. وَلكِنَّها تَعْرِفُ أَيْضًا كَيْفَ تُؤَدِّبُهُ بِضَرْبَةٍ مِنْ خُرْطومِها، حينَ يَقومُ بِعَمَلٍ طائِشٍ.

عِنْدَما تُضْطَرُّ الأُمُّ إلى الابْتِعادِ عَنْ صَغيرِها، فَإِنَّ بالِغًا مِنْ أَفْرادِ القَطيعِ، أَخًا أَوْ أُخْتًا أَوْ أُنْثَى أُخْرى، يَهْتَمُّ بِهِ. ذلِكَ أَنَّ كُلَّ الفِيَلَةِ في القَطيعِ تَشْعُرُ بِمَسْؤولِيَّةِ الحِمايَةِ وَالتَّرْبِيَةِ تِجاهَ الصِّغارِ.


يَرْفَعُ الصَّغيرُ خُرْطومَهُ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ الرِّضاعَةِ بِواسِطَةِ فَمِهِ.

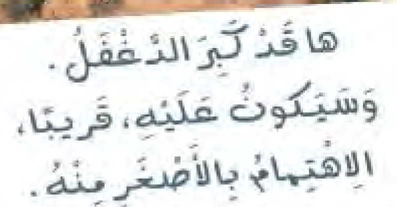

ما زالَ هذا الصَّغيرُ تَنْقُصُهُ المَهارَةُ. فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ كَيْفَ يُحْسِنُ اسْتِخْدامَ خُرْطومِهِ الطَّويلِ.


لا يَشْعُرُ الدَّغْفَلُ بِالأَمانِ إلّا عِنْدَما يَكونُ لِصْقَ أُمِّهِ.



يُحِبُّ الدَّغْفَلُ اللَّعِبَ كَثيرًا. كَما يُحِبُّ أَنْ يَتَبارى مَعَ الأَكْبَرِ مِنْهُ. إِنَّهُ تَمْرينٌ جَيِّدٌ لِقُوَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلى القِتالِ.





ها قَدْ كَبِرَ الدَّغْفَلُ. وَسَيَكونُ عَلَيْهِ، قَريبًا، الاهْتِمامُ بِالأَصْغَرِ مِنْهُ.

سُرْعانَ ما تَسْتَيْقِظُ حِشْرِيَّةُ الدَّغْفَلِ، فَيَبْدَأُ عِنْدَئِذٍ اللَّعِبَ مَعَ الدَّغافِلِ الأُخْرى، أَوْ يَذْهَبُ لاسْتِكْشافِ ما حَوْلَهُ؛ كُلُّ هذا، تَحْتَ نَظَرِ كِبارِ القَطيعِ مِنْ دونِ شَكٍّ!

وَالدَّغْفَلُ يَشْرَبُ الكَثيرَ مِنَ الحَليبِ لِيَنْمُوَ سَريعًا. إِنَّهُ يَرْضَعُ أُمَّهُ، كَما يُمْكِنُهُ أَنْ يَرْضَعَ الإِناثَ الأُخْرى في القَطيعِ. يا لَهُ مِنْ حَظٍّ! وَعِنْدَما يَبْلُغُ الدَّغْفَلُ الشَّهْرَ الرّابِعَ، فَإِنَّهُ يَسْتَطيعُ أَكْلَ العُشْبِ مِثْلَ الكِبارِ.

يُصْبِحُ الدَّغْفَلُ الذَّكَرُ بالِغًا حَوالى سِنِّ العاشِرَةِ. وَعِنْدَما يَبْلُغُ الثّالِثَةَ عَشْرَةَ، فَإِنَّهُ يُقَرِّرُ تَرْكَ القَطيعِ وَالعَيْشَ وَحيدًا أَوْ مَعَ ذُكورٍ في مِثْلِ سِنِّهِ. إِذّاكَ، تُصْبِحُ الحَياةُ العائِلِيَّةُ مُجَرَّدَ ذِكْرى لَدَيْهِ!

الفِيَلَةُ في خَطَرٍ

في مَطْلَعِ القَرْنِ العِشْرينَ، كانَ هُناكَ أَكْثَرُ مِنْ مَلْيونِ فيلٍ في إفْريقِيَةَ. لكِنَّ الإنْسانَ راحَ يَقْتُلُ الفِيَلَةَ جَماعاتٍ جَماعاتٍ لِلْحُصولِ عَلى عاجِ أَنْيابِها، فَيَصْنَعُ مِنْهُ تَماثيلَ وَحِلِيًّا وَقَبَضاتِ خَناجِرَ.

أَمَّا اليَوْمَ، فَقَدْ حَظِيَتِ الفِيَلَةُ في إفْريقِيَةَ بِالحِمايَةِ؛ وَأَصْبَحَ مُعْظَمُها يَعيشُ بِحُرِّيَّةٍ في المَحْمِيّاتِ الطَّبيعِيَّةِ.



في إفْريقِيَةَ، يَسْتَطيعُ السُّيّاحُ تَصْويرَ الفِيَلَةِ في بيئَتِها الطَّبيعِيَّةِ داخِلَ المَحْمِيّاتِ.

كَما في إفْرِيقِيَةَ... كَذَلِكَ في آسِيا!

لِلْفيلِ في إفْريقِيَةَ، قَريبٌ يَعيشُ في غاباتِ الهِنْدِ وَآسِيا الجَنوبِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ، وَيَسْهُلُ تَعَرُّفُهُ. فَهْوَ أَصْغَرُ حَجْمًا مَعَ أَنَّهُ قَدْ يَبْلُغُ ثَلاثَةَ أَمْتارٍ ارْتِفاعًا؛ وَلَهُ جَبينٌ مُنْتَفِخٌ وَظَهْرٌ مُقَوَّسٌ وَأُذُنانِ صَغيرَتانِ نِسْبِيًّا. أَمّا الأُنْثى، فَلَيْسَ لَها نابانِ.

وَخِلافًا لِلْفيلِ الإفْريقِيِّ، دَجَّنَ الإِنْسانُ الفيلَ الآسِيَوِيَّ، وَأَصْبَحَ يَسْتَخْدِمُهُ في نَقْلِ الأَحْمالِ الثَّقيلَةِ وَسِوى ذلِكَ مِنَ الأَعْمالِ الصَّعْبَةِ.


يُحِبُّ الفيلُ الآسِيَوِيُّ الماءَ هُوَ أَيْضًا.


فيلٌ آسِيَوِيٌّ

بِطاقَةُ تَعْريفٍ

الفَصيلَةُ: الفيلِيّاتُ

الرُّتْبَةُ: الخُرْطومِيّاتُ

الصَّفُّ: اللَّبوناتُ

المَسْكَنُ: السَّباسِبُ، الغاباتُ، مَناطِقُ المُسْتَنْقَعاتِ

الانْتِشارُ: إفْريقِيَةُ، الهِنْدُ، سري لَنْكا، ماليزيا، إنْدونيسْيا، جَنوبُ الصّينِ

فَتْرَةُ الحَمْلِ: 22 شَهْرًا

عَدَدُ الأَجِنَّةِ في كُلِّ حَمْلٍ: 1

الارْتِفاعُ: 2,3 إلى 4 أَمْتارٍ

الطّولُ: 6 إلى 7 أَمْتارٍ بِالنِّسْبَةِ إلى الجِسْمِ، 1 مِتْرٍ بِالنِّسْبَةِ إلى الذَّنَبِ

الوَزْنُ: 5 إلى 6 أَطْنانٍ

نِظامُ الاغْتِذاءِ: عاشِبٌ

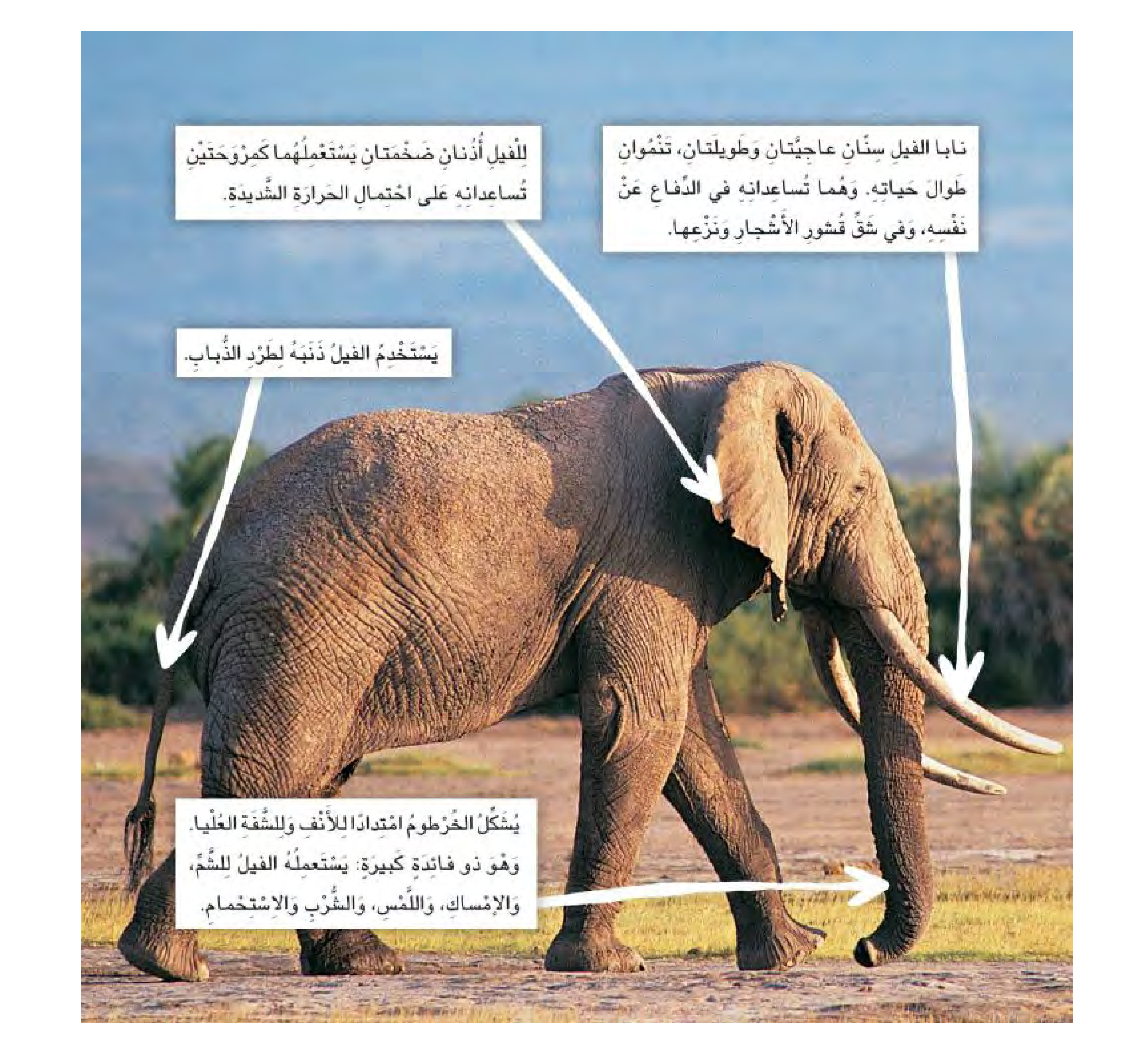
العُمْرُ التَّقْريبِيُّ: 70 عامًا

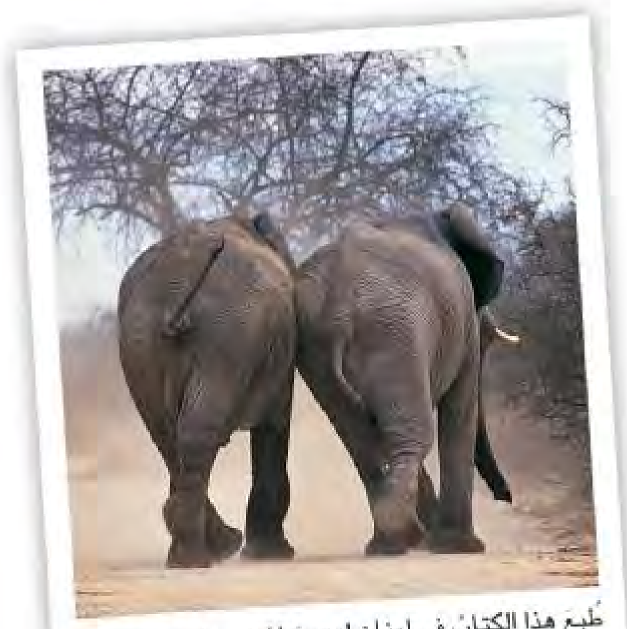


جِلْدُ الفيلِ سَميكٌ، وَلٰكِنَّهُ ضَعيفٌ، سَريعُ العَطَبِ.



قَوائِمُ الفيلِ أَعْمِدَةٌ ضَخْمَةٌ، لِكَيْ تَسْتَطيعَ احْتِمالَ وَزْنِهِ.


لِلْفيلِ أُذُنانِ ضَخْمَتانِ يَسْتَعْمِلُهُما كَمِرْوَحَتَيْنِ تُساعِدانِهِ عَلى احْتِمالِ الحَرارَةِ الشَّديدَةِ.
نابا الفيلِ سِنّانِ عاجِيَّتانِ وَطَويلَتانِ، تَنْمُوانِ طَوالَ حَياتِهِ. وَهُما تُساعِدانِهِ في الدِّفاعِ عَنْ نَفْسِهِ، وَفي شَقِّ قُشورِ الأَشْجارِ وَنَزْعِها.
يَسْتَخْدِمُ الفيلُ ذَنَبَهُ لِطَرْدِ الذُّبابِ.
يُشَكِّلُ الخُرْطومُ امْتِدادًا لِلأَنْفِ وَلِلشَّفَةِ العُلْيا. وَهُوَ ذو فائِدَةٍ كَبيرَةٍ: يَسْتَعْمِلُهُ الفيلُ لِلشَّمِّ، وَالإِمْساكِ، وَاللَّمْسِ، وَالشُّرْبِ وَالاِسْتِحْمامِ.



طُبِعَ هذا الكِتابُ في لبنان لدى مَطابِعِ بيبلوس برينتنغ.
الطَّبعة الثَّانية 2012
سنّ الفيل، الجسر الواطي، ص. ب. 55542 بيروت، لبنان
ISBN 978-9953-31-126-5



القَطيعُ، عادَةً، عائِلَةٌ كَبيرَةٌ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ حَوالى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فيلَةً بالِغَةً وبَعْضِ الدَّغافِلِ. أَمَّا الرَّئيسُ، فَهْوَ الجَدَّةُ. إنَّها هِيَ الَّتي تَقودُ القَطيعَ، وَعَلى الجَميعِ إطاعَتُها لأَنَّها الأَكْبَرُ سِنًّا والأَكْثَرُ خِبْرَةً؛ فَقَدْ واجَهَتْ في حَياتِها كُلَّ أَنْواعِ المَخاطِرِ، وتَعْرِفُ كُلَّ اليَنابيعِ، مَهْما كانَتْ بَعيدَةً، كَما تَعْرِفُ أَفْضَلَ المَراعي وَأَخْصَبَها.



ISBN 978-9953-31-126-5
9 789953 311265